مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 12 / العـدد: 02 (2024)، ص: 96-109

# ملامح التفسير الوضعي في علم التاريخ عند ابن خلدون

# Features of positivist interpretation in History According to Ibn Khaldoun

**1-بن علي أعمر [1] جامعةالجزائر2(الجزائر)amar.benali@cnsb.dz**

**2- بطاش منانة المدرسة العليا للاساتذة بوزريعة الجزائر**

**Battache menanae.ensb.dz**

تاريخ الاستلام: 2024/02/29 تاريخ القبول: 2024/04/25 تاريخ النشر: 2024/06/01

**ملخص:**

يعتبر ابن خلدون (1332-1406م) أحد أهم فلاسفة العصور الوسطى، كما تم وصفه بأنه ممثل مبكر للداروينية الاجتماعية. ولقد ابتكر مفهومه الخاص مشددًا على أن التاريخ علم قائم على دراسته للمنهج. وهكذا تمكن من خلال دراسته من تحليل الحادثة التاريخية.

إن مفهومه للتاريخ يتجاوز مسائل المفردات والسرد التي سيطرت على معظم الكتابات السابقة، فهو المثقف الذي صاغ المعرفة على أصول عقلية وقدم الميول العلمية بها.ولهذه الأسباب جاءت أهمية اختيار الموضوع لتسليط الضوء على أهم معالم الوضعية في فكر ابن خلدون بوصفه صاحب إسهامات علمية بارزة هي محل تقدير جميع المختصين بالدراسات الإنسانية

**كلمات مفتاحية:** ابن خلدون، التاريخ، المنهج، المفهوم، المعرفة، علم الاجتماع

**Abstract**

Ibn Khaldoun (1332-1406) is considered one of the most important philosophers of the middle ages. It has also been described as a representative of social Darwinism. He created his own conception emphasizing that history is an existing science standing on his study of the approach. Thus, through his study he managed to analyze the historical phenomenon.

His concept of history goes beyond vocabulary narrative issues which dominated most of the previous writings .He is the intellectual who formulated knowledge on rational principles and introduced the scientific inclination into it.

**Keywords:** .Ibn Khaldoun, History, The approach, The concept, Knowledge, Sociology.

---

***المؤلف المرسل:** بن علي أعمر

**1. مقدمة:**

الهدف من هذه الوريقات البحثية هو الوقوف عند اهم معالم فكر العلامة "عبد الرحمن ابن خلدون"(1332- 1406م) من خلال كتبه التي تناول فيها دراسة الوقائع الاجتماعية والأحداث التاريخية ,التي هي خبر عن الاجتماع الإنساني، انه المفكر الكبير الذي احتل منزلة كبيرة في تاريخ الفكر والفلسفة والمنطق وعلم مقارنة الأديان والحضارات، كما انه مؤسس لعلوم كثيرة بحيث استطاع أن يؤسس لرؤية جديدة في دراسة التاريخ، ولهذا "اعتقد عدد من العلماء - ما بين مستشرقين وفلاسفة - أن ابن خلدون ذلك المفكر الذي ظهر في القرون الوسطى قد سبق منذ القرن الرابع عشر المذاهب الحديثة التي ترمي إلى جعل التاريخ علما لا فنا أدبيا" (الحصري، 1968، صفحة 62). ولا شك أن ابن خلدون أوجد منهجا جديدا لدراسة الحوادث التاريخية ,هو بحق عنوان لثورة جديدة أحدثت قطيعة إبستمولوجية مع المناهج السابقة وأصرّ على ضرورة تفسير الحوادث التاريخية بشكل موضوعي و ذلك بوضع

القوانين التي تتحكم في الظواهر التاريخية. ولما كان فكره في مجال فلسفة التاريخ ساهمت في الكشف عن كثير من الأدوات العلمية وصفات الروح العلمية فيحق لنا ان نطرح الاشكال التالي :

- أين تتجلى أهم مظاهر التفسير العلمي للتاريخ عند الفيلسوف والعلامة "ابن خلدون"؟ وخاصة المنهج العلمي الذي استحدثه في دراسة الحوادث التاريخية؟

- وما القوانين العلمية التي من خلالها كان تفسيره للتاريخ من جهة أن التاريخ خاصية انسانية؟

**2. مفهوم التاريخ:**

**1.2. التاريخ لغة:**

- "التَّارِيخُ فِي اللُّغَةِ: الإِعْلَامُ بِالْوَقْتِ.

يُقَالُ: أَرَّخْتُ الْكِتَابَ وورخته (بِمَعْنًى) أَي: بَيَّنْتُ وَقْتَ كِتَابَتِهِ.

- قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: التَّارِيخُ: تَعْرِيفُ الْوَقْتِ. وَالتَّورِيخُ مِثْلُهُ، يُقَالُ: أَرَّخْتُ وَوَرَّخْتُ...

- وَقِيلَ: إِنَّهُ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ مَحْضٍ، بَلْ هُوَ مُعَرَّبٌ مَأْخُوذٌ مِنْ (مَاهْ رُوزْ) بِالْفَارِسِيَّةِ (مَاهْ): الْقَمَرُ، وَ (رُوزُ): الْيَوْمُ. وَكَأَنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ طَرَفَاهُ.

- قَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْجَوَالِيقِيُّ فِي كِتَابِهِ: الْمُعَرَّبُ مِنَ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ: يُقَالُ إِنَّ التَّارِيخَ الَّذِي يُؤَرِّخُهُ النَّاسُ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ مَحْضٍ، وَإِنَّمَا أَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَارِيخُ الْمُسْلِمِينَ أُرِّخَ مِنْ سَنَةِ الْهِجْرَةِ [وَ] كُتِبَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ [-رضي الله عنه-] فَصَارَ تَارِيخًا إِلَى الْيَوْمِ" (السخاوي، 2017، الصفحات 89-90).

**2.2. التاريخ اصطلاحا:**

قبل أن ننقل المفهوم الاصطلاحي الى علم التاريخ عند "ابن خلدون" يجب أولا نقل بعض تعريفات المؤرخين الآخرين ممن ذكرهم وسبقوه أو ممن عاصروه ثم مقارنة تعريفاتهم للتاريخ مع تعريفه هو ,بهدف فهم معنى التاريخ، ومن أشهرهم في "الحافظ السخاوي" في "الإعلان بالتوبيخ": بأن التاريخ في الاصطلاح: هو "التعريف بالوقت الّذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة، وحج، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا، مما مرجعه الفحص عن

أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص" (السخاوي، 2017، صفحة 08)، فأدخل فيه كل ما يمكن نقله من سمعيات وخبريات، وسيعترض "ابن خلدون" على هذه التعريفات ، ويقرر بأن السابقين من المؤرخين ينقلون في كثير من الآحيان ما ليس من التاريخ ويجعلونه من التاريخ، وهذا غلط.

أما "المسعودي" فقد عرّفه في كتابه "مروج الذهب "بأنه عِلْمٌ يَسْتَمْتِعُ بِهِ الْعَالِمُ وَالْجَاهِلُ، وَيَسْتَعْذِبُ مَوْقِعَهُ الْأَحْمَقُ وَالْعَاقِلُ، فَكُلُّ غَرِيبَةٍ مِنْهُ تُعْرَفُ، وَكُلُّ أُعْجُوبَةٍ مِنْهُ تُسْتَظْرَفُ، وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ وَمَعَالِيهَا مِنْهُ تُقْتَبَسُ، وَآدَابُ سِيَاسَةِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا مِنْهُ تُلْتَمَسُ، يَجْمَعُ لَكَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ" (السخاوي، 2017، صفحة 118)، فأدل في التاريخ أن يذكر المؤرخ في تاريخه "كل غريبة تعرف" بل و" كل أعجوبة منه تستظرف" حتى أدخل فيه ذكر "آداب سياسة الملوك" ومعه "مكارم الأخلاق" وهذا ما يستنكره "ابن خلدون" بشدّة مبينا أن التاريخ يجب أن ينقل ما يعني بباب "الفكر" وليس "الأحوال الشخصية" من ذكر طريقة جِلسة الملوك وورقهم وأقلامهم ونوع لباسهم ودخلوهم وخروجهم وسكناتهم وحركاتهم ونحو هذه الأشياء، وهو بهذا يستند إلى فقهه في الشريعة من جهة أن الفقهاء يذكرون في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ما يعني السنة بشكل خاص ويعرجون على ما يعني الجانب الإنساني فيه بشكل عام، ففرقوا بين أقواله التي هي تشريعات وغيرها مما هو عادات، ولهذا نجد ابن خلدون" هنا يستفيد من هذا في ضبط مفهوم التاريخ بإخراج العادات منه.

**3.2. تعريف التاريخ عند ابن خلدون:**

وبعد النظر في "تاريخ ابن خلدون" وجدنا أن تعريفه للتاريخ جديد من جهة استعماله للمنهج العلمي في التأصيل للتاريخ كعلم حديث النشأة، حيث أشار إلى أنه لم يُسبق إلى مثل هذا التأصيل، في قوله: "اعلم أنه لما كانت حقيقة التاريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذّي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش، التأنس، العصبيات، وما ينشأ من ذلك من الملك والدول

ومراتبها وما ينتحل البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال" (ابن خلدون، 1981، صفحة 46). ولهذا عبّر بأن "التاريخ هو خبر عن الاجتماع البشري"، أي أنه "خبر" يُنقل إلينا من جهة السمعيات أو النقليات أو الخبريات، وهو أيضا "متعلق بالاجتماع" من جهة أن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه محتاج إلى الاجتماع والتآلف مع غيره وتبادل الأخبار، وهو في الأخير "إنساني" أي أن التاريخ خاصية انسانية، ولا يمكن للإنسان أن يعيش من دون تاريخ، فهو كائن تاريخي، وهو بهذا التعريف مستفيد من القرآن الكريم الذي فيه يخبرنا ربنا تبارك وتعالى عن قَصَصِ الأولين من الناس، لنستفيد ونعتبر ولا نقع في أخطاء الأولين، وبما أن "ابن خلدون" فقيه اسلامي فلا شك أنه يعتمد في تقرير الحقائق على الوحيين القرآن والسنة الصحيحة، وهذا ظاهر في ضبطه للمصطلحات ومنها مصطلح "التاريخ".

**4.2 قيمة التاريخ عند ابن خلدون:**

من خلال تعريفه للتاريخ ظهرت قيمة التاريخ العلمية في قوله: "ونحن الآن نبيّن في هذا الكتاب ما يعرض للبشر في اجتماعهم من أحوال العمران في الملك والكسب والعلوم والصّنائع بوجوه برهانيّة يتّضح بها التّحقيق في معارف الخاصّة والعامّة وتندفع بها الأوهام وترفع الشّكوك". (ابن خلدون، 1981، صفحة 52). ويعني هذا أن التاريخ عنده ليس مجرد سرد للخبريات بلا معنى و لا فحص ٬ لأنه لاحظ عدم التحقيق في نقل الخبر التاريخي، وأن الغالب من المؤرخين ينقلون الاخبار بلا تمحيص وبالتالي لم يتميز في أذهانهم معنى التاريخ فضلا عن علمية التاريخ، فهم يتكلمون عن العمران وينقلون الشارد والوارد، ولكنه بالتحقيق يتّضح عند "الن خلدون" أن التاريخ يتغير مفهومه من جيل الى جيل وأن المؤرخ عليه بضبط معنى التاريخ ,ليؤرخ وفق المعنى الجديد لزمانه، لان أحوال الخلق تختلف من حضارة لأخرى، ومن دولة لأخرى، فما يعتبره قوم أنه تاريخ يجعله الآخر من الترّهات والخزعبلات التي لا معنى لها.

ومن هنا تظهر قيمة التاريخ العلمية التي حرص "ابن خلدون" على تدوينها، وجعلها شيئا أساسيا في علمية التاريخ، فقد اطلع عن حال العرب و قال" كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه، والكتاب وضبطه، تصرف إلى التواريخ جُلّ دواعيها، وتجعل

لها أوفر حظّ من مساعيها، وتستغني بحفظ قلوبها عن حفظ مَكتوبها، وتعتاض برقم صدورها، عن رقم مسطورها، كل ذلك عناية بأخبار أوائلها، وأيام فضائلها" (الكملائي، 2018، صفحة 61)(ومع ذلك فإن الكثير من الخلق إما انهم لا يعرفون التاريخ على حقيقته ويظنونه "ضرب من الأخبار التي هي مضيعة للوقت وما يتصل من أخبار والسير العامة ومتصلا بالأدب والمجون" (سعد الله، 2007، صفحة 322)، وعلى العكس من ذلك فمن الناس من يجعل التاريخ نقل كل شيء كما سبق بيانه، ولكن "ابن خلدون" كان وسطا بين الطرفين في ضبطه للتاريخ علميا ومنهجيا.

**3. مظاهر الدراسة الوضعية للتاريخ عند ابن خلدون:**

لقد كان "ابن خلدون" شديد الاهتمام بما تركه مؤرخو الإسلام في مجال الكتابة التاريخية أمثال الطبري والمسعودي وغيرهما، إذ كان مطلعا على ما كتبه هؤلاء وأخضعه للدراسة النقدية قائلا: "ولما طالعت كتب القوم وسبرت غور الأمس واليوم، نبهت عين القريحة من سنة الغفلة والنوم (ابن خلدون، 1981، صفحة 62)"، وبالتالي أعاب عليهم كثيرا اهتمامهم بظاهر التاريخ دون الباطن (الحصري، 1968، الصفحات 2-3)، أو نقلهم للأحداث بلا تمحيص، أو سردهم للأخبار بلا تحقيق ونظر علمي، فكانوا بهذا يكتفون بنقل الأخبار وسرد الوقائع صادقها وكاذبها ,دون إخضاعها للنقد والتمحيص والتعليل وذلك بتغليب الرواية على الدراية خاصة في أخبار الحضارات السابقة، وإن كان عندهم اهتمام في تطبيق علوم الحديث في الأخبار الشرعية، لكنهم يتوسعون في غير الشرعيات بنقل الخبريات نقل المقلدّة لبعضهم البعض، مما أدى إلى الوقوع في المغالط والأكاذيب وهنا يقول: "إن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها... ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال، ولم يراعوها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها فالتحقيق قليل وطرق التنقيح في الغالب كليل" (ابن خلدون، 1981، صفحة 3). بهذا بين ضرورة إخضاع الوقائع والأحداث التاريخية للنقد والتحليل وعدم الاكتفاء بالنقل دون فحص ونقد ,مما يؤدي إلا الترهات والخرافات والأساطير، ولهذا ألح على ضرورة تخليص التاريخ من تغليب الرواية على الدراية إذ ليس المهم نقل الأخبار والوقائع كما عمد إلى ذلك مؤرخو

الإسلام ,وإنما المهم هو تعليلها وهذا من خلال ضرورة تجنب الغلط الخفي في التاريخ مع تحلي المؤرخين بعدد من الخصال التي تضمن الاقتراب من الموضوعية والنزاهة.

**4. الشروط العلمية في دراسة التاريخ عند بن خلدون:**

حدد "ابن خلدون" في منهجه الخاص بدراسة التاريخ مجموعة من الشروط الضرورية التي يجب على الباحث الالتزام بها واهمها:

**1.4. ضرورة إلمام المؤرخ بجملة من الفنون والعلوم:**

لأنّ التاريخ يدرس ظواهر معقدة ومتشابكة، وفهمها يقتضي معرفة هذه العلوم والفنون، نتيجة كون الحادثة التاريخية لها امتدادات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية ولغوية ودينية وغير ذلك، وعليه فإن صاحب هذا الفن محتاج إلى "العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والاعصار في السِّير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال" (ابن خلدون، 1981، صفحة 45). ويدل هذا القول على أن معرفة مختلف العلوم والإلمام بطبائع العمران البشري يجعل من المؤرخ قريبا من التفسير السليم والتعليل الصحيح

**2.4. نقد الأخبار قبل نقلها:**

يجب على المؤرخ أو الباحث أن يمارس النقد من أجل بلوغ الحقيقة لهذا عدم الاكتفاء بنقل الأخبار دون فحصها وتأملها صفة ضرورية لابد منها" لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ... فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق" (ابن خلدون، 1981، صفحة 74).الامر الذي يجعل تمحيص الأخبار وتمييز الصحيح من هما:

أ- النظر في مدى صدق الرواة وأمانتهم.

الباطل في كتابة التاريخ يتطلب الاهتمام بأمرين

ب- التفكير في إمكان الوقائع التاريخية ومطابقتها للواقع (الحصري، 1968، صفحة 274).

**3.4. التأكد من مطابقة الخبر للو اقع:**

إن التمييز بين الكاذب والصادق في الوقائع التاريخية يقتضي من المؤرخ تمحيص الأخبار والتأكد من مطابقتها للواقع والبحث في أسباب حدوثها وتعاقبها، لأن من أهم الأسباب المؤدية إلى الكذب في الروايات والوقائع هو الاكتفاء بسرد الأخبار والوقائع دون تعليلها "وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأيمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سربوها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار" (ابن خلدون، 1981، الصفحات 12-13).

**4.4. الالتزام بالموضوعية والابتعاد عن الذاتية:**

هي من أهم الصفات التي اشترط (ابن خلدون) أن يتحلى بها المؤرخ وفحواها تجنب التحيز إلى أية إيديولوجية أو فئة معينة خلال دراسة الحوادث التاريخية.

**5.4. معرفة طبائع العمران البشري:**

أكد ابن خلدون أن من بين أهم أسباب الكذب في التاريخ الجهل بطبائع العمران البشري, ومعنى هذا أن لواقعات العمران قوانين تحكمها ,ومعرفة تلك القوانين تجعل المؤرخين في مأمن من الوقوع في الغلط حيث يقول "وأمثال ذلك كثير وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الخبر" (مراد، 2017، صفحة 138).

**5. قو انين التاريخ عند ابن خلدون:**

ما يمكن الإشارة إليه في هذ العنصر هو أ ن "ابن خلدون" استخدم مصطلح القانون في عدة نصوص في سياق عرضه لنظريته في تفسير التاريخ ومن بين هذه القوانين:

**1.5. قانون السببية التاريخية:**

يرى "ابن خلدون" أن كل ظواهر الكون بما فيها الوقائع الاجتماعية والأخبار التاريخية مرتبطة بعضها ببعض ارتباط العلل بالمعلولات حيث يقول: "إن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلاً لابد له من طبيعة تخصه في ذاته" (ابن خلدون، 1981،

صفحة 58). ويعكس هذا القول بجلاء إيمانه بوجود علاقة سببية بين الظواهر، علما أن العلماء التجريبيين يؤمنون بمبدأ السببية من جهة أنّ السبب هو المنسوب إلى المسبب، وأن السببية هي العلاقة بين السبب والمُسبّب (صليبا، 1982، صفحة 649) وعلى نطاق واسع في ميدان دراستهم للظواهر الطبيعية، وهذا ما يوضح أن مسلكهم هو عين مسلك العلماء ونظرتهم العلمية في العلوم الانسانية والاجتماعية، فهو يؤمن "بوجود علاقة علية بين الوقائع والظواهر، ومعروف أن قانون العلية كان مأخوذا من العلوم الطبيعية ولكن براعة ابن خلدون كانت في تطبيقه على التاريخ بطريقة واضحة" (الخضيري، 2007، صفحة 120). حيث يعتبر الكثير من الباحثين أن المؤرخ اليوناني "هيرودوت" قد أدرك أهمية مبدأ السببية في تفسير الحوادث التاريخية، لكن تطبيق هذا المبدأ لم يظهر بصورة واضحة المعالم إلا مع "ابن خلدون"، وهذا ما أكدته "زينب الخضري" في كتابها "فلسفة التاريخ عند ابن خلدون" بقولها: "لقد شعر هيرودوت الوحيد الذي سبق ابن خلدون في إدراك أهمية هذا القانون على السلوك الإنساني" (الخضيري، 2007، صفحة 120). ويعود السبب الأساسي في اعتبار ابن خلدون من الرواد الأوائل الذين عملوا بمبدأ السببية في تعليل الحوادث التاريخية , هو تأكيده على خضوع جميع الظواهر الاجتماعية والتاريخية لمبدأ السببية لوجود قوانين ثابتة ليست مقتصرة على العلم الطبيعي فقط بل تمتد كذلك إلى عالم الإنسان.

هذا ويمكن إبراز رأى "ابن خلدون" حول مبدأ السببية في الفصل الذي عقده حول علم الكلام حيث قال: "اعلم أن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الذوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلابد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة" (ابن خلدون، 1981، صفحة 822). ولهذا نجد أمثال "طه حسين" (1889- 1973م)، في أطروحته حول "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" (الحصري، 1968، صفحة 561)، يرى أن مبدأ السببية كان أحد الأسس التي بنى عليها "ابن خلدون" نظريته الاجتماعية، إذ كان يعارض أن تكون للتاريخ سوى غاية واحدة وهي أن تشرح بواسطة القصص تطورات المجتمع البشري في أدواره وأشكاله المختلفة ,فمن الضروري في نظره أن نبدأ بدراسة القوانين التي تحدث التطورات وفقا لها لأن "ابن خلدون" لا يقبل أن يسلم بأن الحوادث تتعاقب مصادفة دون انتظام (طه، 1935، صفحة 50). لآن أحداث التاريخ

ليست وليدة المصادفة أو تتحكم فيها قوى مجهولة، بل هي أحداث تسير وفق قوانين ثابتة يمكن إدراكها، وهذا ما يتجلى في كثير من النصوص في كتابه المقدمة مثل قوله" ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها" (ابن خلدون، 1981، صفحة 03).

وما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال هو أن الكثير من الباحثين في الفكر الفلسفي الإسلامي أشاروا إلى أن "ابن خلدون" لم يأخذ بمبدأ السببية على نحو مطلق وهذا ما أثارته الباحثة "زينب الخضيري" في كتابها "فلسفة التاريخ عند ابن خلدون" عندما بينت أن إيمان هذا الأخير بمبدأ العلية لم يكن إيمانا مطلقا (الخضيري، 2007، صفحة 121)، معتمدة على الاستثناءات التي خصصها لمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء وكذا مختلف المواضيع التي تتعلق بالغيبيات المختلفة تماما عن الطبيعيات، ومع هذا فيمكن القول بأنّ "ابن خلدون آمن بقانون العلية وسيطرته على عالم الطبيعة وعالم الإنسان، إلا أنه اعتقد أيضا بوجود خوارق للطبيعة تظهر على أيدي الأنبياء والأولياء لا تخضع بالمرة لقانون العلية، وهدا الموقف الذي يبدو في الظاهر موقفا مضطربا ومناقضا هو في الحقيقة موقف عالم مسلم، آمن كعالم بمبدأ العلية، وآمن كمسلم بوجود المعجزات والكرامات، تلك الاستثناءات الخارقة لقانون العلية التي اعترف بها أيضا لأشاعرة (الخضيري، 2007، صفحة 123).

وكخلاصة لكل ما سبق ذكره يمكن القول بأن أحداث التاريخ حسب العلامة "ابن خلدون" لا تسير بطريقة عشوائية ، وإنما توجد أسباب تتحكم فيها , محكومة وهو الامر الذي يجعلها تسير وفق قوانين تشبه القوانين التي تحكم باقي ظواهر الكون، كظواهر الفلك والطبيعة" (طحطح، 2009، صفحة 82).

. وقد أدت هذه الدراسة المنهجية والعلمية الخلدونية والغير معهودة لواقعات العمران البشري أو ما يعرف حاليا بالظواهر الاجتماعية إلى استخلاص قوانين ثابتة تتحكم في المجتمعات والدول كما هو الحال في الظواهر الطبيعية ,الفيزيائية منها والكيميائية وهي:

**2.5. قانون الإنسان اجتماعي بطبعه:**

لا يعارض "ابن خلدون" رأي الفيلسوف اليوناني "أرسطو طاليس" (384-322 ق.م) الذي سبقه إلى القول أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده، فهو كائن اجتماعي بطبعه،

غير أن أصالة "ابن خلدون" تظهر في قوله بضرورة الاجتماع البشري, واعتبار علة هذا الاجتماع المعاش (الحصول على الغداء) بالإضافة إلى دفع العدوان عليه, كون الإنسان يحتاج إلى بني جنسه " اعلم أن المعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله وهو مفعل من العيش كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه جعلت موضعا له على طريق المبالغة، ثم إن تحصيل الرزق وكسبه إما ان يكون بأخذه من يد الغير (ابن خلدون، 1981، صفحة 682). ويعكس اعتبار الدافع الاقتصادي أو المعاش كعلة للاجتماع الإنساني الرؤية العلمية التي تميز بها الفكر الخلدوني، ومن هنا تظهر واقعية ابن خلدون ,لأن المعاش والكسب من بين العوامل الأساسية في تكوين المجتمع وان هذا الأخير لا تسيره الأفكار كما أدعى هيجل وانما يسيره عاملا هاما جدا وهو العامل الاقتصادي(الصغير، 1981، صفحة 75).

**3.5. قانون الديموغرافيا:**

إن للزيادة و النقصان في عدد السكان أي النمو الديموغرافي علاقة بالإقليم "فالظاهرة السكانية ظاهرة طقسية" (الصغير، 1981، صفحة 76). يقول ابن خلدون: "ونحن نرى بالمشاهدة والأخبار المتواترة أن الأول والثاني من الأقاليم المعمورة أقل عمرانا مما بعدهما، وما وجد من عمرانه فيتخلله الخلاء والقفار والرمال" (ابن خلدون، 1981، صفحة 83).

**4.5. قانون نشأة الحضارة:**

يرى ابن خلدون "أن الظاهرة الحضارية ما هي إلا امتداد للبداوة وتعد تقدما بالنسبة لها" (الصغير، 1981، صفحة 76). بمعنى أن الدول والحضارات تنشأ من البداوة وتنتقل إلى الحضارة ,ويمكن القول أن الدولة حسب ابن خلدون لا تستقر على حال واحد، بل يجب أن تمر بأطوار النشأة (جيل البداوة) البناء (جيل الحضارة) الترف (جيل الانحطاط)السقوط، وأن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال، لان الجيل الأول ما زال على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد... والجيل الثاني تحول حلهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف الى الترف والخصب... وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة

والخشونة كأنه لم يكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما فيه ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته (ابن خلدون، 1981، الصفحات 301-302).

**5.5. قانون التعاقب الحضاري:**

ينص هذا القانون على أن للدول والحضارات أعمار مثل الأشخاص فهي تنشأ وتزدهر وتكبر ثم تهرم وتفنى ,وعمر الدولة بمثابة عمر الشخص (ابن خلدون، 1981، صفحة 303). فقد كان الفصل الأول من مقدمته بعنوان: "في العمران البشريّ على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض"، فقدم العمران البدويّ قبل المَدني في الترتيب، فالناس في نشأتها تبدأ من الأسرة في القرية وفيها تتجسد البداوة ثم التمدّن لتتشكل المدينة، ثم تتشكل من هذا العمران الدول، ثم تصل أوج قوتها ثم تتلاشى وهذاما لاحظه ابن خلدون في تاريخ الدول والحضارات، الامر الذي جعل ملاحظته ملاحظة علمية قائمة على تتبع الأحداث التاريخية والوقائع الاجتماعية. وكانت النتيجة التي وصل اليها هي أن أطوار حياة الدول كأطوار حياة البشر.

**6.5. قانون المطابقة:**

إن سعي العلامة "عبد الرحمان ابن خلدون" إلى تخليص التاريخ من الأسطورة وتغليب الرواية على الدراية أدى به الى نقل معيار التحقق في الحوادث التاريخية من سلطة المؤرخ إلي مطابقة الحوادث التاريخية مع الواقع، حيث استخدم مصطلح المطابقة في عدة نصوص من كتابه المقدمة كقوله: "وأما الأخبار عن الواقعات فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة، فلذلك وجب أن ينظر في امكان وقوعه، وصار في ذلك أهم من التعديل ومقدما عليه، إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط، وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة " (ابن خلدون، 1981، صفحة 61). ويقصد "ابن خلدون" بالمطابقة التحقق من صحة الأخبار والمطابقة قائمة بين الخبر والواقعة فالتحقق يبدأ من إمكان وقوع الواقعة، ففي هذا الإمكان تجد صحة الخبر أساسها المادي، أما إذا ثبت في العمران أن الواقعة محكومة بمنطق الاستحالة فالخبر مغلوط بلا ريب وقانون التمييز بين الإمكان والاستحالة في وقوع الواقعة يكون بالنظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران (مهدي، 1985، الصفحات 46-47).

## ملامح التفسير الوضعي في علم التاريخ عند ابن خلدون

وقد قاد استخدام "ابن خلدون" لهذا القانون الى الكشف عن الكثير من الأخبار الكاذبة والمستحيلة الحدوث التي أوردها بعض المؤرخين في كتاباتهم التاريخية ,ومن الروايات التي انتقدها مبينا زيفها وبعدها عن الواقع رواية "المسعودي" (283- 346هـ/ 896- 957م) في قوله: "أن جيوش بني إسرائيل قد بلغت ستمائة ألف مقاتل وبين أن هذه الرواية غير صادقة لأنها لا تتوافق مع قوانين العمران فالمساحة الجغرافية لا يمكن أن تحوي كل هذا الكم من المقاتلين وهذا كما نقله المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل إن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق ساحة الأرض عنها، وبعدها إذا اصطفت على مدى البصر مرتين أو ثلاثا أو أزيد " (ابن خلدون، 1981، صفحة 01).

وهنا يورد "ابن خلدون" النماذج العلمية في باب الروايات وهو ما يجزم بأنه من القصص الباطلة، ولهذا فنّد مثل هذه الأخبار بأدلة عقلية وجغرافية ,مبينا بُعدها عن الصحة وهذاما ذكره في بداية كتابه المقدمة بقوله: " ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة أخبار التابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقيا والبربر من بلاد المغرب، وأن إفريقيش بن قيس ابن صيفي من أعظم ملوكهم الأول وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل، عزا إفريقيا وأثخن في البربر... وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط" (ابن خلدون، 1981، الصفحات 16-17). وما ينبغي التأكيد عليه هو أن ابن خلدون اعتبر أن أهم عامل يجب أن تقوم عليه الكتابة التاريخية الصحيحة هو إخضاع الأخبار التاريخية لمعيار الإمكان العقلي (المطابقة ) "وأما الإخبار عن الواقعات، فلا بد في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة (ابن خلدون، 1981، صفحة 61). ويدل هذا القول على ان الوقائع التاريخية يجب أن تكون مطابقة للواقع المشاهد وبعيدة عن كل التفسيرات الخرافية والخيالية والمغالية في الخبر ,وعلى هذا الأساس يكون معيار المطابقة أساس دراسة التاريخ.

**6. النزعة النقدية عند ابن خلدون:**

يمكن إبراز مظاهر النزعة النقدية التي يتسم بها الفكر الخلدوني في ذلك التمييز الذي أقامه بين ظاهر التاريخ وباطنه، أعاب على المؤرخين تناولهم للحوادث والوقائع التاريخية بالاعتماد على ظاهر النص فقط ,فأكد أن التاريخ ليس مجرد سرد ونقل

الأحداث بل هو تعليلها وتفسيرها تفسيرا سببيا ويتجلى هذا في قوله: " إذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول، تنمو فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال، وتطرب بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي الينا شأن الخليفة كيف تقليب بها الأحوال واتسع الدول فيها النطاق والمجال، ومروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال، في باطنه نظر وتحقيق وتعليل الكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق" (ابن خلدون، 1981، صفحة 02).

ولا شك أن تميز ابن خلدون بين ظاهر التاريخ وباطنه فيه تعبير واضح عن النزعة النقدية التي اتصف بها فكر التاريخي ، وهذا ما يظهر في نقد ه للمؤرخين السابقين لاهتمامهم بتغليب الرواية على الدراية، وعدم إخضاعهم الوقائع التاريخية للنقد والتحليل ,لأن حقيقة البحث في التاريخ تفرض التخلص من الذاتية ودراسة الأحداث والوقائع التاريخية دراسة موضوعية. وهكذا تتبين في خاتمة هذه القراءة السريعة ملامح التفسير العلمي عند ابن خلدون.

**7. الخاتمة:**

لقد قدم الفيلسوف والعلامة "ابن خلدون" طريقة علمية نموذجية رفيعة المستوى حسب ظروف عصره ,لدراسة التاريخ بمنهج علمي صارم، انه وضع قوانين لدراسة لتاريخ التي من خلالها يمكن التنبؤ بالأحداث التاريخية، وهذا ما جعله من عباقرة زمانه وخاصة بعد القطيعة الأبستمولوجيا التي أحدثها بين دراسته للتاريخ والدراسات السابقة

وقد فاضت شهرته وتخطت كل الازمنة والامكنة بين العرب والغرب والبربر من جهة إبداعه في التأصيل لعلم التاريخ والعلوم المساعدة لضبط منهجية البحث العلمي في تدوين الأخبار ليبين أن ليس كل ما يروى و يُنقل على أنه تاريخ .ويبقى ابن خلدون ، سابق لعصره ،حينما استخدم خطوات المنهج العلمي في دراساته التاريخية والاجتماعية ،كما جاء في مقدمته فهو يدعو إلى تمحيص الإخبار وتصحيح الحوادث التاريخية، فيجب على المؤرخ أن يكون ملما بطبائع العمران وأحوال المجتمع لكي يتمكن من الحكم على الوقائع ولقد اعتمد ابن خلدون على الكثير من الطرق المنهجية

العلمية من بينها استخدام المنهج التاريخي الذي حلل فيه أصل وجود المجتمع وحتمية حركته وتطوره عبر العصور ،إذ يبين ابن خلدون إن هناك قوانين تاريخية تحدد مسيرة المجتمع ، كما استعمل في دراساته المنهج المقارن وذلك من خالال مقارنة الظاهرة المدروسةبغيرها من الظواهر كما استعمل كذلك الملاحظة من خلال تجميع الوقائع التاريخية واستعمال الطريقة العلمية و النقدية .واعتماد ابن خلدون الأسس العلمية الاستقرائية التي فتحت المجال إلى دراسة التاريخ علميا من خلال الوصول إلى القوانين التي تحكم الحوادث التاريخية والظواهر الاجتماعية.

ولهذا نوصي بالاهتمام بالتاريخ عند مؤرخي الحضارة الإسلامية عامة وعند "ابن خلدون" بشكل خاص، وإعادة دراسة منهج التاريخ دراسة متمعنة في كيفية تناوله للأحداث التاريخية وتمحيص الأخبار وقبولها ونقدها والانتباه إلى الغلط الخفي فيها، وذلك بالتفريق بين تاريخ الرواية التي تعتمد على علم الإسناد وما يتبعه من علم الرِّجال والجرح والتعديل، وبين تاريخ الأمم والحضارات السالفة الذّكر والتي يجب أن نعيد قراءة تاريخها بالاعتماد على مناهج علمية جديدة مع الاستعانة ببعض العلوم العصرية كعلم الآثار ونحوه لضبط صحيح الأخبار من سقيمها.

**8. قائمة المصادروالمراجع:**

1. ابن عمار الصغير. (1981). *الفكر العلمي عند ابن خلدون*. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
2. أبو القاسم سعد الله. (2007). *تاريخ الجزائر الثقافي*. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع.
3. جميل صليبا. (1982). *المعجم الفلسفي*. بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني.
4. حافظ عبد الرحمان الكملائي. (2018). *البدور اللمضية في تراجم الحنفية* (ط2). مصر: دار الصالح.
5. حسين طه. (1935). *فلسفة ابن خلدون الاجتماعية*. مصر: مطبعة الاعتماد.
6. خالد طحطح. (2009). *في فلسفة التاريخ* (ط1). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف.
7. زينب الخضيري. (2007). *فلسفة التاريخ عند ابن خلدون*. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
8. ساطع الحصري. (1968). *دراسات عن مقدمة ابن خلدون* (ط2). بيروت: دار الكتاب العربي.
9. شمس الدين السخاوي. (2017). *الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ* (ط1). المملكة العربية السعودية: دار الصميعي للنشر والتوزيع.
10. عبد الرحمان ابن خلدون. (1981). *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الكبير* (ط1). بيروت: دار الفكر.
11. كامل مهدي. (1985). *في علمية الفكر الخلدوني*. بيروت: دار الفارابي.
12. محمد مراد. (2017). *المدارس التاريخية الكبرى* (ط1). مكتبة الفقيه.